النساء والنازية

قراءة في كتاب: الأدوار النسائية والنازية

المؤلف: ليليان كاندل وأخريات

الناشر: أوديل جاكوب، باريس ٢٠٠٤

الصفحات: ٣٠٧ قطع وسط

Feminismes et Nazisme.
Liliane Kandel.
Odile Jacob - Paris 2004, p. 307

عرض: م . د

لعل هذا الكتاب هو الأول من نوعه الذي يصدر حديثاً، ويتناول موضوعاً مثيراً كالذي يعبَّر عنه هذا العنوان. فالحديث عن الأدوار النسائية في الحركة النازية هو بمثابة إضاءة على جانب غير معروف بين القراء في المجتمعات الأوروبية الغربية.

أنجز الكتاب مجموعة من الباحثات النساء، من الولايات المتحدة الأميركية، وألمانيا وفرنسا، وكنّ تقدّمن بأبحاث لندوة انعقدت قبل بضع سنوات في العاصمة الألمانية. الفكرة المركزية لهذه الأبحاث تقوم على توجيه «النقد العنيف» لوجهة نظر سادت في أوروبا، وفي سائر المجتمعات الإنسانية المعاصرة، قوامها النظر إلى المرأة نظرة رومانسية تجعل منها باستمرار مخلوقاً وديعاً بعيداً عن أية إمكانية لارتكاب أي عمل «شرير».

السؤال الذي يطرحه الكتاب صاغه مؤلفوه على الشكل التالي: هل يمكن للمرأة بوصفها الضحية الأبدية للذكورة، أن تتحول في لحظة معينة إلى جلاّد؟

تقول مؤلفات الكتاب إنه إذا كان الجواب على هذا السؤال يتركز على التجربة النازية ودور المرأة في ظل نظام أدولف هتلر، فإن هذا الجواب يناقش في واقع الأمر مسألة مساواة الرجل والمرأة، وذلك على مبدأ أن الشر ليس أمراً يختص به الرجل، وبالتالي رفض المقولة المبنية على رفض أي رأي يمكن أن ينطوي على اتهامات ولو حتى ضمنية لدور المرأة في التاريخ، وذلك على أساس أن دور المرأة الشريرة – الساحرة – إنما يقتصر على الصورة المتخيلة في الروايات، والأعمال الأدبية، وليس في الواقع. تشير ليليان كاندل في هذا الصدد إلى كتابات المؤرخة الفرنسية لوس إيريفاري، التي تصرح في إحدى رواياتها بتبرئة المرأة من أي عمل يشوبه شيء من الشر. وها هي تقول: «ينبغي علينا ألا نسمح بأي نص أو كلام يتهم أمهاتنا بدعم الفاشية»..

يبدو الكتاب في سياقه الإجمالي، محاولة تبريرية للدور البارز الذي كان للمرأة الألمانية بخاصة، والأوروبية بعامة، في دعم التحالف النازي/ الفاشي في أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية. حتى أن عدداً من المعلقين الذين ناقشوا فكرة الكتاب، أعلنوا أن هذا العمل يحمل نظرة عنصرية تجاه الرجل حيث إن المؤلفات يوجّهن التهمة إلى المجتمع الذكوري بأنه هو الذي يكرس التقسيم التقليدي السائد في مجال العلاقات بين الرجال والنساء، ودور كل طرف، وهو التقسيم الذي يؤكد على كون الرجل هو «المسيطر» بينما المرأة هي ذلك الكائن الخاضع للسيطرة.

وحسب المؤلفات فإن مثل هذا التقسيم، يتماشى تماماً مع المفاهيم السائدة عن المجتمعات الذكورية التي تعطي للأنثى الموقع «الأضعف»، وبالتالي موقع الضحية. إن مثل هذا التقسيم هو ما

الكاتب الساخر، مؤلف «البخيل» «والمريض بالوهم» وسواهما.

جاء في المقدمة التي وضعها كلود فتارين للكتاب «ان عملية التفكير هي بمثابة رفاهية ضرورية يمكن أن تتلاءم مع صيغة المؤنث، إذ لا يمكن أن نعيش بمعزل عن الفكر النسائي، وبالتالي عن الفلسفة التي توجد المرأة في أصلها.» مهمة هذا الكتاب أن يبيِّن إمكانية التفكير بطريقة أخرى. كذلك فإنه يسعى إلى البرهنة على أن المرأة قد بدأت بـ «التفكير والفلسفة» منذ البدايات الأولى لصيرورة الفكر الإنساني. ويذهب المؤلف إلى التأكيد على نظريته بالإشارة إلى أنه كان ثمة العديد من النساء من بين طلبة أرسطو وابيقور. ثم يسوق المؤلف عدداً من أسماء هؤلاء النساء الفيلسوفات مثل «كليوبول» وهي ابنة أحد حكماء الإغريق السبعة، والتي كانت قد كتبت العديد من الاطروحات ذات البعد الفلسفي؛ كذلك يذكر المؤلف اسم فيلسوفة أخرى هي «هيباتي»، والمعروف عنها أنه جرى اغتيالها لأنها أرادت أن تتفوق على أساتذتها في ميدان الفلسفة من خلال السجالات التي خاضتها في الدواوين الإغريقية. في هذا المجال يؤكد الكاتب أن المرأة المفكرة كانت عرضة لـ «الاضطهاد» والاتهام بـ «سوء السمعة».

وقد استمرت مثل هذه الأساليب الاضطهادية حيال المرأة الفيلسوفة حتى بدايات القرن العشرين. ويشير المؤلف في هذا المجال بالذات إلى تعليق الشاعر الفرنسي بول فاليري على كتاب ناتالي بارني، حين خاطبها قائلاً: «أنتِ تفكرين، إذن أنا أهرب».

في الفصول الطويلة للكتاب المستعاد، يعرض جيل ميناج إلى وجوه نسائية كثيرة كنَّ من بين طلبة فيثاغورس. ويقول: «عندما نعرف كم هي أغلبية النساء اللواتي يملن إلى الثرثرة ولا يحفظن السر، فإنه يمكن للمرء أن يندهش من وجود هذا العدد الكبير من الفيثاغورسيات، خصوصاً وأن من العادات الطريفة التي كانت تفرض على أنصار هذا الفيلسوف الإغريقي الكبير، هو أن يلتزم الطلاب الصمت خمس سنوات متواصلة...»